

اشكالية التعلق لدى الطفل

د . مدوري يمينة

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة- الجزائر

ملخص:

احتل مفهوم التعلق حيزا كبيرا في مجال اهتمام العديد من الباحثين والمهتمين بنمو الطفل وتنشئته الاجتماعية أمثال (فرويد Freud، و بولبي Bowlby، و اينزروث Ainsworth) وغيرهم، ويعد التعلق في مرحلة الطفولة موضوعاً شديداً الأهمية ، لأنه يمثل نقطة انطلاق لحياة الطفل الاجتماعية وارتباطاته العاطفية مع الآخرين ، و تعد الأم أو من ينوب عليها في سد احتياجات الطفل هي موضوع التعلق لدى الطفل ، و ذلك من خلال تكوين أنماط متسقة ومتميزة نوعياً للطريقة التي يتفاعل فيها هذان الطرفان (أم - طفل) مع بعضهم البعض . و سنحاول في هذا المقال التطرق الى هذا المفهوم السيكولوجي المتعدد الأوجه بين ديناميكي ، و اجتماعي، و معرفي ، و سلوكي ، و ذلك بالإجابة على التساؤلات التالية: ماذا نقصد بالتعلق ؟ و ما هي أهم المراحل التي ينمو من خلالها التعلق ؟ ما هي أشكال التعلق ؟ كيف يمكن تفسير التعلق لدى الطفل ؟ ما محل قلق الانفصال في نمو التعلق لدى الطفل ؟

الكلمات المفتاحية: العلاقة أم-طفل، التعلق، قلق الانفصال .

Problematic attachment of the child

Abstract :

Occupied the concept of attachment to the attention of many researchers and those interested in child growth and social upbringing likes of (Freud, Bowlby, Ainsworth) and others. The attachment in childhood is very important subject, because it represents a starting point for the social life of the child and the emotional connections with others point, and is the mother or on behalf of them in bridging the needs of the child is the subject of attachment of the child, and that through the formation of patterns consistent and distinct qualitatively to the way it interacts where these two parties (mother - child) with each other. In this article we will try to address this multifaceted psychological concept of dynamic, and social, and cognitive, and behavioral, and by answering the following questions: What is attachment? What are the phases of attachment? What are the types of attachment? How to explain the attachment of the child? What is the status of separation anxiety during the attachment of the child?

Keywords: The relationship mother - child, attachment, separation anxiety.

مقدمة:

يقر معظم المشتغلين بعلم النفس بأن علاقات الطفل الأولى تكون بمثابة حجر الزاوية في تكوين شخصيته ، إلا أن الاختلاف يتركز غالبا حول أصول هذه العلاقات . فمن الواضح كما تؤكد أغلبية النظريات النفسية أن الطفل خلال السنة الأولى يقيم علاقة قوية مع الأم أو من ينوب عنها ، و تلك حقيقة ثابتة تنطبق على معظم الأطفال.

ان الاهتمامات البحثية في هذا الاطار ذهبت الى الاستفسار حول طبيعة هذه العلاقة و سياق توثيقها وسرعة اقامتها و مدتها و وظيفتها.

ان أغلبية التنظيرات في مجال علم النفس تأثرت الى حد بعيد بنظرية التحليل النفسي ، و بأفكار فرويد ما نتج عنه أبع اتجاهات تناقش طبيعة علاقة الطفل بأمه ، لخصها بولبي فيما يلي :

• **الاتجاه الأول :** ان حاجات الطفل الفيزيولوجية و خاصة الحاجة للغذاء و للرعاية .. ، تتطلب من يرضيها ، فالطفل يقيم علاقة بشخص ما (في الغالب الأم) لأنه يرضي حاجاته ، فالطفل يتعلم أن الام هي مصدر منح و عطاء بالنسبة له فهي موضوع للتغذية و ارضاء الحاجات ، لدى سميت هذه الوجهة من قبل بولبي بنظرية الدوافع الثانوية .

• **الاتجاه الثاني :** يروج هذا الاتجاه الى الاعتقاد القائل بأن الطفل يشعر بالندم بعد الولادة بسبب مغادرته لرحم أمه الذي يمثل له بنية أمنة و خالية من أي تهديدات ، فهو يرغب بالعودة اليه ، و عليه تفسر هذه النظرية علاقة الطفل بأمه و تعلقه بها على أنها نتيجة لرغبته في العودة الى رحم الأم .

• **الاتجاه الثالث :** يتجه أصحاب هذا الاتجاه الى تحليل علاقة الطفل بأمه الى حاجة الطفل الى الثدي وأنها حاجة غريزية ، فهو بحاجة الى مصه و امتلاكه (حسب التحليل النفسي) تلبية لمتطلبات نمائية ، حيث يلاحظ الطفل أن الثدي هو جزء من الأم و بسبب ذلك عليه اقامة علاقات تبادل مع الأم والتعلق بها .

• **الاتجاه الرابع :** يرى هذا الاتجاه أن الطفل يميل الى التواصل و التشبث بشخص ما ، و أن هذه الحاجة مستقلة عن التغذية و عن الحاجات الأخرى ¹ .

و يؤكد العديد من الباحثين على الأهمية التي تحتلها العلاقة أم - طفل من أجل نمو سوي ، ذلك لأن النمو السليم للطفل و شخصيته يكون من خلال سلامة علاقته بأمه التي توفر له الاشباع النفسي والعاطفي و الفيزيولوجي .

و قد توصلت M.Mahler من خلال دراساتها المتتابعة عن الطفل الى تحديد ثلاثة مراحل رئيسية تميز علاقة الطفل بأمه ، و أن هذه المراحل هي التي تساهم في تكوين الشخصية و تحقيق التطور الفردي من خلال عمليات الافتراق Les Processus Différenciation ² . و هي

العمليات التي يخرج فيها الطفل من مرحلة الاندماج العاطفي و الانصهار التام و التبعية الى تكوين فردية خاصة و مستقلة . و يمكن تلخيص هذه المراحل فيما يلي :

• **المرحلة الأولى :** و هي تدعى بالمرحلة التوحيدية La phase Autistique و يطلق عليها كذلك بمرحلة التكامل الطبيعي ، وهي توافق الأسابيع الأولى من حياة الطفل ، و هنا لا يستطيع الطفل أن يميز بين الحقيقة الخارجية و الحقيقة الداخلية أي بين نفسه و الآخر ، و عليه يكون الطفل غير قادر على الفصل

بين ذاته و الأم ، و تسيطر في هذه المرحلة النرجسية التامة و التوازن للميكانيزمات الفيزيولوجية، و تمتد هذه المرحلة الى بداية الشهر الثاني .

• **المرحلة الثانية :** تدعى كذلك بالمرحلة التكافلية (التعايشية) La Phase Symbiotique و يطلق عليها كذلك بمرحلة العلاقات التكاملية الطبيعية ، تنطلق مع بداية الشهر الثاني ، و هنا يصبح الطفل يعي بغموض أن ما يقلل ضغطه و توتره يأتي من الخارج .

و تشير M.Mahler أن هذا التوتر مرتبط بمحاولة الطفل ادراك الفرق بين الذات و الأم ، التي يصبح الطفل يعتبرها كموضوع منفصل عليه و لكنه هو المسؤول عن تحقيق اشباعاته و ارضاءه. و يحكم هذه المرحلة مبدأ اللذة فكل ما يحقق اللذة و الاشباع جيد ، و العكس صحيح ، و تمتد هذه المرحلة الى غاية الشهر الرابع .

• **المرحلة الثالثة :** تدعى بالمرحلة التشخيصية أو التشخص و التقرد Le Processus de Séparation Individuation ، و تمر هذه المرحلة بالأطوار التالي :

• **الطور التفريقي :** و هو يوافق تقريبا السداسي الثاني من حياة الطفل و يتميز هذا الطور بتطور الانشطة و الأعمال الاستكشافية لدى الطفل ، فيتعرف على الأشياء المحيطة به و يشاغلها ، فيكشف الوجه الأمومي ، و يبدأ في التفريق في صورة الجسم بينه و بين أمه ، الى ان يدرك كونه متفردا عن أمه و هي من الشهر الخامس الى التاسع و هي بداية الولادة النفسية ، و مع ذلك يبقى هذا الطفل جد متعلق بحضور الأم .

• **طور الممارسة و التدريبات :** و هو يمتد من نهاية السنة الأولى الى بداية السنة الثانية ، و هي مرحلة تظهر فيها تقدمات أدائية على الطفل ، و تكون ذات أهمية ، حيث يبدأ الطفل بالابتعاد عن الأم نتيجة اللعب و الحركة و الاعتماد الجسمي ، و خلال هذه المرحلة تتطور الاستقلالية لدى الطفل ، حيث يصبح الطفل لا يخاف عند الابتعاد عن الأم أو غيابها. و لكن مع ذلك كله فانه يعود بصورة متكررة و دورية الى أمه كلما اعترضه عائق أو صعوبة ليستعيد الارتياح و الراحة النفسية .

• **طور التقارب :** و هي مرحلة تدوم حتى نهاية السنة الثانية. و فيها يبدأ الطفل بإقامة علاقات مع الأم بذات منفصلة تماما عنها ، و تحدث في هذه المرحلة أزمة التقارب بين الخوف من البعد عنها و الرغبة في الابتعاد عنها . و يصبح الطفل هنا قادر على استخدام استعداداته الخاصة لحماية نفسه في حالات الابتعاد عن الأم أو غيابها.³

وهنا يشير Winnicott الى أن الطفل خلال هذه المرحلة يكتسب مصطلح " العيش مع " Le Concept Living With هذا المفهوم يعني أن الطفل قد خرج من مرحلة أين كان مندمجا مع أمه ، و يعني أن كل الأشياء مستقلة عنه و أن علاقته بأمه علاقة واقعية و موضوعية.⁴

ان بنية العلاقة بين الطفل و الأم تحدها جملة من الانظمة السلوكية ، فكل فعل أو حركة لأحد الطرفين يقع ضمن جملة مترابطة ، تشكل وحدة سلوكية متكاملة و متوافقة مع أفعال الطرف الآخر . و تندرج هنا الفكرة التي تشير الى ان التفاعل الذي يتم بين الطفل و الأم لا يقل فيه دور الطفل من حيث الايجابية عن دور الأم ، بمعنى أن التأثير في هذا التفاعل يسير ليس فقط من الأم الى الطفل ، بل أيضا من الطفل الى الأم . فهو اذن تفاعل ثنائي الاتجاه يؤثر فيه الطفل في الأم ، كما تؤثر الأم في الطفل ، في شكل دائري .

و نجد ان التفاعل بكل أشكاله بين الطفل و الأم يأخذ أهمية خاصة في نمو قدرات الطفل و تطوره، فالنفاعل للمسي، و التواصل البصري ، و الشمي و الصوتي يؤثر تأثيراً مهماً في نمو الطفل من مختلف الجوانب الجسدية ، و المعرفية ، و الاجتماعية ، و الانفعالية ، و هو ما تبين لنا من خلال اطلاعنا على بعض البحوث الحديثة أن التفاعل بين الأم و الطفل في المراحل الأولى من حياته نقطة انطلاق مهمة في تطور التواصل اللاكلامي بينهما ، اذ يستند هذا التواصل الى الاشارات الجسدية كالتعابير الوجهية المتنوعة و الاصدارات الصوتية و التبادل البصري و الشمي .

ان هذا التفاعل و الارتباط يبني بصفة أساسية في السنوات الثلاثة الأولى من العمر حين تسد احتياجات الطفل الأساسية من قبل الأم أو من يقوم برعايته حين يقوم بتوفير التلامس و التواصل البصري و الابتسام و الارتباط العاطفي الايجابي ، حيث يكون الطفل من خلال حلقة ثابتة و نشطة من هذا الارتباط و التفاعل تتكرر آلاف ان لم يكن ملايين المرات في السنوات الأولى من العمر ، نموذج ايجابي داخلي يتكون من احساس الطفل بـ "أني شخص جدير بالاهتمام و الحب ، احتياجاتي مسددة و أشعر بالأمان "، مما يرسخ الاحساس بالثقة و الأمان لدى الطفل حتى يتمكن من بناء و تنظيم واقعه . بل أكثر من ذلك ، ان المخ -التحديد القشرة الأمامية و الانظمة الطرفية التي تقوم بتنظيم العواطف و الاثارة و التنبه و المهارات الاجتماعية بما يؤثر في النهاية على مهارات التواصل -ينمو في تلك الفترة من خلال حلقة الارتباط هذه ⁵ و يقول د. ايريك برن : "لا بد من وجود شيء دافئ و محب و يشعره بالأمان في مكان ما ، و يسدد أيضاً جوعه، و يربط على ظهره حتى يذهب في نوم لذيذ أما احساسه بالأمان الأكبر فيحدث لدى قربه من المؤثر الدافئ و المحب هذا . فعندما تحتويه ذراع أمه المحبة ، او يستمع الى نبرات صوتها المحبة ، فانه يسعد و يشعر بالأمان ، و عندما تهجره أمه أو تخفي عنه عاطفة الحب يجعله هذا وحيداً و يشعر بالنعاسة ⁶ و يطلق الباحثين على هذا الارتباط و التفاعل المتبادل بين الطفل و أمه مصطلح **التعلق** الذي سوف نتطرق له فيما يلي.

2- مفهوم التعلق :

من المظاهر السائدة عند الأطفال رغبتهم الشديدة في أن يكونوا قريبين الى حد الالتصاق من أفراد آخرين لهم مكانة معينة لديهم ، و يسمى هذا النمط السلوكي "بالتعلق" . يكاد يكون هناك اتفاق بين العاملين في ميادين النمو النفسي على تعريف التعلق على أنه "ارتباط انفعالي عاطفي بين شخص و آخر أو بين الناس وبعضهم البعض وذلك تحت ظروف التواجد في إطار مكاني واحد، و يتدعم هذا الارتباط عبر الزمن "

كذلك يعرف واترز و داين(1985) سلوك التعلق في الطفولة على أنه "تلك الأفعال التي يأتيها الطفل نتيجة لما يكتسبه من خلال التصاقه، بمن يتولى رعايته و وحضانته " . ويعرف التعلق بأنه "رابطة انفعالية قوية تؤدي إلى شعور الطفل بالسعادة والفرح والأمن عندما يكون قريباً من مقدم الرعاية ، والشعور بالتوتر والانزعاج عندما يفصل عنه مقدم الرعاية مؤقتاً " . أما اينزورث و بولبي فيعرفانه " بأنه رابطة انفعالية قوية يشكلها الطفل مع مقدم الرعاية الأساسي ، وتصبح فيما بعد أساساً لعلاقات الحب المستقبلية" .

ويعرفه شيفر (Shaffer) بأنه علاقة عاطفية قوية بين شخصين تتميز بالتبادل العاطفي والرغبة في المحافظة على القرب بينهما. ويكون التعلق الرئيس للطفل بأمه إلا أنه قد يتشكل تعلق بأفراد آخرين ممن يتفاعلون معه بشكل منتظم كالأب أو أحد الجددين أو بعض الأقارب .

أما باباليا واولد و فلدمان فقد أكدوا في تعريفهم للتعلق مساهمة كل من الطفل ومقدم الرعاية في نوعية رابطة التعلق فعرفوه " بأنه رابطة انفعالية قوية ومتبادلة بين الرضيع ومقدم الرعاية يساهم كل منهما في نوعية التعلق".

و يذهب إسماعيل (1986) إلى أن "التعلق يعد مظهرًا من مظاهر السلوك الانفعالي والاجتماعي عند الأطفال في المراحل الأولى من العمر. ولعله لا توجد عملية أخرى أشد تأثيرًا وأقوى فعالية وأكثر أهمية من التعلق بالنسبة للنمو في المراحل المقبلة ، ويتمثل هذا النمط السلوكي في تعلق الطفل بشخص حاضنه الذي يحتل لديه المكانة الأولى ، وخاصة لو كان هذا الشخص هو أمه".⁷

و بناءً على ما تقدم يمكن اعتبار التعلق عاطفة قوية متبادلة بين الطفل ومقدم الرعاية، تعكس رغبة كل منهما في المحافظة على القرب بينهما وتُعد الأساس الذي تبنى عليه العلاقات الحميمة اللاحقة والتفاعلات الاجتماعية بشكل عام. ويرجع بيرجر جزءًا كبيرًا من أهمية التعلق كظاهرة نفسية مؤثرة وفعالة في سنوات الطفولة المبكرة، إلى جذور نظرية التحليل النفسي ، التي أكدت على أهمية نمو هذه العلاقة الانفعالية العاطفية مبكرًا بين الأم وطفلها.⁸

فالتعلق ذو طبيعة نوعية، إذ يمكن للصغير أن يتعلق بأكثر من شخص واحد في نفس الوقت. ولا يحدث هذا إلا من خلال التوظيف الصحيح لتلك الارتباطات العاطفية، مما يكتسب معه التعلق مزيدًا من القوة والفعالية الإيجابية في حياة الطفل. ويحدث هذا على الرغم من أن الصغير غالبًا ما يكون مهينًا للتعلق بأول من يقوم برعايته وحضانه ، وهو في أغلب الأحوال الأم.

ففي دراسة شافر و امرسون (Schaffer & Emerson, 1964) تبين أن طفل مهينًا للرد على المؤثرات الاجتماعية لدرجة أنه يمكنه التعلق بأفراد آخرين ، و يعرب عن سخطه و احتجاجة عند غيابهم .

2-مراحل التعلق لدى الطفل:

ينمو سلوك التعلق خلال السنة الأولى من حياة الطفل ، اذ يحتمل وجود مراحل حساسة تسهم في تطوره. يبدأ تعلق الطفل بشخص معين (أو بأشخاص معينين) فيما بين الشهر السادس و الشهر التاسع من عمره. و تبين دراسة أنسوورت (Ainsworth, 1967) بأنه يمكن ملاحظة سلوك التعلق عند غالبية الأطفال في عمر السنة أشهر ، حيث يعبر الطفل عن ذلك بالبكاء عند مغادرة الأم ، و بالابتسام و تغاريد الفرح عند عودتها . و يستمر هذا السلوك حتى نهاية السنة الثانية، ففي عمر التسعة أشهر يتمكن الطفل من متابعة الأم عند مغادرتها المكان ، و يبدأ بالبكاء و بالانخفاض التدريجي ، كما يقوم الطفل بالتشبث بالأم ، خاصة عندما يشعر بعدم الأمن عند حضور شخص غريب .

علما أن ردود فعل الطفل هذه تكون أقل حدة قبل هذا العمر، و يستحيل ملاحظتها عند الأطفال في الأشهر الأولى. و في عمر الثمانية عشر شهرا يميل الطفل الى ابداء هذا السلوك اتجاه الأب أو الاخوة و والأخوات ، الا أنه يكون أقوى عندما يتوجه الى الأم مقارنة مع الآخرين .⁹ و لأكثر ايضاح يمكن اختصار المراحل التطورية لسلوك التعلق لدى الطفل كالأتي :

1.2- مرحلة التعلق الفطري الغريزي: يبدأ من قبل الولادة ، وكلما كانت الأم مقبلة على جنينها تحب الحمل ، وتوافق عليه ، وتجاوز جنينها أثناء الحمل كان الطفل متقدماً في نموه مرتبطاً بأمه ، والعكس صحيح الأم التي لم تكن راغبة في الحمل أو حدثت مشكلات بينها وبين زوجها أو طلقت أثناء الحمل ، وبالتالي أصبحت كارهةً للحمل كارهةً لجنينها ، هذا الكره يتحول إلى كيمياء داخلية تشعر الطفل بالرفض ؛ فيولد هذا الطفل وأمه رافضةً له ، وهو أيضاً رافض لها ، وهذا يتمثل في الواقع في طفل يولد فيوضع على صدر أمه فيرفض الرضاعة منها، ثم يُوضع هذا الطفل على صدر أي امرأة أخرى فيقبل على الرضاعة بسهولة.

يستمر هذا التعلق الفطري الغريزي بعد الولادة ، فيرتبط الطفل بأمه من خلال رائحتها و صوتها ، رغم أنه لا يعرفها معرفة حقيقية ؛ ولذا فهو لا يمانع في أن يُترك في رعاية شخص غريب غيرها ، ويفسر البعض ابتسامه الطفل وبكائه وتحديقه بعين الأم على أنه نوعٌ من الارتباط وتوثيق العلاقة.

2.2- مرحلة تكون التعلق (من الأسبوع السادس حتى الشهر الثامن) : في الفترة من 40- 60 يوماً من عمر الطفل تبدأ الابتسامه التفاعلية الاجتماعية ؛ مما يؤدي إلى حدوث تطور في العلاقة بين الطفل والأم ، ويتميز هذا التغيير بازدياد مستوى الشعور الوالدي بتبادل المحبة مع الطفل. ويبدأ الطفل بالرغبة في التواصل مع المحيطين به ، ويحب المداعبة و المناغاة ، ويظهر عدم الرضا حينما يترك وحده ، وعند بلوغ الطفل الشهر السادس من عمره ، فإنه يعرف أمه جيداً ، ويبدأ الارتباط المعرفي بها ، وهذه نقلة جديدة ومهمة في الارتباط والتعلق.

كما يبدأ الطفل في التمييز بين الشخص الغريب و المألوف، ويكتشف مدى تأثير تصرفاته على سلوك الآخرين (كالبكاء) ، وحتى الآن لا يزعجه انفصاله عن أمه رغم أنه يميزها.¹⁰

3.2- مرحلة التعلق الواضح (من الشهر الثامن حتى سن سنتين) : و فيها يكون التعلق بالأم واضح جدا في تصرفات الطفل، وينزعج عندما تتركه ويغضب ويبدأ بالبكاء والصراخ، ويدرك أن الأم موجودة حتى وإن لم يراها. حيث في حوالي الشهر التاسع يتطور لدى الطفل مفهوم (تحقيق ثبات الجسم المادي)، وهو تفهم استمرار وجود الأشياء حتى وإن لم تكن مرئية و يتوافق تطور هذا المفهوم مع تغيرات نوعية في التطور الاجتماعي والتواصل للطفل ؛ حيث يلاحظ أن الطفل يحاول استكشاف الشخص الغريب ، فينظر للخلف و الأمام ، منقلاً نظره بين الغريب القادم وأمه ، كما لو كان يجري مقارنةً بين المعلوم والمجهول ، ومن الطبيعي في هذه الفترة أن يبدأ معظم الأطفال - بنسب متفاوتة- بالخوف من الأشخاص الغرباء ، وقد يصرخون ويبكون ويحتمون بأمهاتهم رغم أنهم كانوا قبل ذلك يسعدون بالتواصل مع الآخرين دون تفريق بينهم وبين الأم ، وفي هذه الفترة يصبح الانفصال عادةً أكثر صعوبة ، ويبدأ الأطفال الذين كانوا ينامون ليلاً لأشهر مضت بالاستيقاظ بشكلٍ منتظم ، كما لو أنهم يتذكرون أن والديهم ما يزالان في الغرفة المجاورة.

4.2- مرحلة تكوين العلاقة المزدوجة (سن سنتين) : نتيجة للتطور الذهني (العقلي) للطفل مع قرب السنة الثانية ، يستوعب الطفل عوامل حضور وغياب الأم وتوقع عودتها ، ويبدأ الطفل في استخدام أسلوب الحوار والمفاوضة لمحاولة إبقاء الأم بجواره ، وهنا يمكن للأب بدء الحوار معه وأنه كبر ، وأنها سوف تخرج وتعود سريعاً . و يذكر أن الطفل يمر بمرحلة الانفصال عن الأم خلال مراحل التعلق السابقة ، وتبدأ فترة الانفصال تلك بين الشهر الرابع والخامس ، وتلمس الأم ذلك عندما تحمل وليدها وتراه يحاول الالتواء بعيداً

عنها لاكتشاف المحيط ، وفي الشهر الـ 18 يدرك الطفل أنه وأمه كيانان مستقلان ، واكتسابه القدرة على المشي يغامر بالابتعاد عن أمه لاكتشاف الغرفة ، ولكن يلتفت باستمرار ليتأكد من وجودها خلفه ويستعيد شعوره بالأمان .

قد تكون هذه المرحلة المسماة أيضا بمرحلة التقارب (أو إقامة العلاقة الودية) كرد فعل للحذر المتزايد؛ لإمكانية الانفصال ، ويفيد العديد من الآباء أنهم لا يستطيعون في هذه المرحلة الذهاب إلى أي مكان دون أن يكون برفقتهم طفل صغير متعلق بهم ، ويكون الانفصال وقت النوم صعبًا عادةً.

5.2- التعلق لدى طفل ما بعد السنين : بالنسبة لطفل ما بعد السنين ، فتمتاز تلك المرحلة ببدء الانفصال الفعلي عن الأم ، ويقع الطفل هنا في حيرة وتمزق داخلي ، بين رغبته في الاستقلالية ، ومقاومة الانفصال عن الأم من جهة أخرى ، وتظهر هنا نوبات الغضب عند طفل تلك المرحلة نتيجة لهذا الصراع النفسي ، وهي أزمة مؤقتة يساعد صبر الأم ودعمها على تجاوز الطفل هذه المحنة ويكون طفلا ديناميكيًا محبوبًا متفاعلاً مع الظروف الصعبة بشكل سليم. ويقلل من فرص استمرار حالة التعلق بالأم مع تقدم السن. و ان سلوك التعلق يمكن ملاحظته عند الطفل بشكل واضح و منتظم حتى نهاية السنة الثالثة حيث لا يوافق الطفل على الانفصال عن أمه قبل هذا العمر .

يظهر الاطفال بعد الثالثة من العمر سلوك التعلق بشكل مختلف ، فيصبح هذا السلوك اقل الحاحا و أقل تكرارا حتى يأخذ مظاهر أخرى ، و على سبيل المثال فانه من الملاحظ في دور الحضانه ، أن طفل الثلاثة سنوات يبدي الاضطراب عند مغادرة الأم كالبكاء مثلا ، و لكن هذا الاضطراب لا يدوم وقتا طويلا ، و يسجل تراجعا تدريجي مع الزمن ، ويرتبط هذا التراجع الى حد بعيد على درجة تكيف الطفل مع بقية الأطفال الآخرين ، و طبيعة علاقته بالمربيات ، و درجة تعوده بالذهاب اليومي الى دار الحضانه . فبعد عدة أشهر من الذهاب المنتظم يهرع الطفل مسرعا باتجاه زملائه لمشاركتهم اللعب حالما يدخل الحضانه غير أنه بمغادرة الأم .

و يعتبر هذا تغيرا أساسيا في سلوك التعلق لدى الطفل، فهو يشعر بالأمن في مكان غريب عليه، و مع أشخاص آخرين غير الأم تربطه بهم علاقة ما ،الا أن هذا الشعور يرتبط الى حد بعيد بطبيعة علاقة الطفل بهؤلاء الأشخاص ، فالعلاقة الحميمة تعزز من مشاعر الأمن ، و الطمأنينة لديه . كذلك تجنب الطفل مصادر الخوف المفاجئ في الوسط الجديد، و يجب أن يعرف الطفل أين هي أمه، و يتأكد أنه سيشاهدها بعد حين ، و أن انفصالها مسألة مؤقتة .

كما قد يؤثر نمط التعلق لدى الطفل على حدة الاضطراب في وضعيات الانفصال ، فقد أجريت دراسة في هذا الإطار للباحثة هنادي عبد الوهاب الهروط حول أنماط التعلق وعلاقتها بالقلق والكفاءة الاجتماعية في مرحلة الطفولة المتأخرة وقد أجريت الدراسة على أكثر من 400 طالب وطالبة ، وقد أشارت نتائجها إلى أن أطفال نمط التعلق الآمن يتميزون على نظرائهم من نمط التعلق المقاوم أو التجنبي بدرجة ذات دلالة على متغيرات الكفاءة الاجتماعية ، وقد ظهر أثر رئيسي لمتغير الجنس على سمة القلق ، يشير إلى أن الإناث بوجه عام أعلى قلقاً من الذكور في تلك المرحلة.¹¹

3- أنماط التعلق لدى الطفل:

يعتبر بولبي أن التعلق يمكن ملاحظته من خلال ردود فعل الطفل التي تقود الى سلوك التعلق . و يتأثر هذا السلوك الى حد بعيد بمتغيرين اثنين : السرعة التي ترد بها الأم على اشارات طفلها ، و شدة

عملية التفاعل التي تقوم بين الطفل و الأم . و تتميز استجابات الأم التي توفر لصغيرها علاقة أمنة عن نظيرتها التي لا توفر مثل هذه العلاقة ، فتكون أكثر حساسية و اصغاء للإشارات الصادرة عن طفلها ، أما الأم التي تتجاهل تعابير و اشارات طفلها أو التي تستجيب متأخرة لهذه الاشارات لا توفر طفلها مثل هذه العلاقة الآمنة ، حيث لا يعرف الطفل ما يمكن أن ينتظر منها مما يخلق في نفسه مشاعر القلق و الاضطراب . و هنا يشير أنسويرت أن الطفل يستخدم الأم كقاعدة أمنية .

و قد قامت كل من ماري أنسويرت و سيلفيا بل بدراسة سنة 1973 لتقصي الفروق الفردية في سلوك تعلق الطفل بالأم ، خلصت من خلالها الباحثتان الى وجود فروق فردية في أمن التعلق لدى الطفل ترتبط بسلوك الأم ، و حددا على اثر هذه الدراسة ثلاثة أنماط لسلوك التعلق لدى الطفل و هي كالآتي.¹²

1.3- التعلق الآمن (التعلق الايجابي) : وهنا يكون الطفل متعلقاً بأمه كمصدر للأمن ، ولكنه يجعلها كمنطقة انطلاق ، ينطلق من خلالها لاستكشاف ما حوله ، ثم يرجع الطفل إلى أمه (قاعدة الأمان) ليستمتع بحنانها والشعور بالأمان معها، وهنا الأم تلعب دوراً مهماً جداً في الوصول بالطفل إلى ذلك النوع من التعلق ، فتدعمه نفسياً ، من خلال تشجيعه لاكتشاف الأشياء والأشخاص ، ولا تكون عائق يمنعه من التواصل مع الناس بحجة الخوف عليه .

فالأم الجاهزة انفعاليا و المتمتعة بحساسية عالية في استجابتها للطفل تمكنه من أن ينمي تعلقاً آمناً. ان الأم اليقظة لإشارات الطفل ، و الحاضرة عند حاجته لها تعزز لديه الثقة بالكبار ، فالطفل يعمم هذه الثقة على الآخرين ، فهو لا يشعر بالخوف و الفرع عند مشاهدة شخص غريب للمرة الأولى. فأم الطفل ذو التعلق الآمن تبدو أكثر حساسية في استجابتها لإشارات الطفل و أكثر دعماً له و مساندة عند تعرضه لمشكلة ما ، أو أكثر تعبيراً عن عواطفها و انفعالاتها ، و بتعبير آخر تكون أكثر اندماجاً في حياة الطفل.

و في نفس هذا الاطار وجد كلارك ستوارت (Clarke&Stewart) و كذلك ستاينتون و أنسويرت (Stayton & Ainsworth) أنه اذا كانت الأم تحظى بقدر كبير من القدرة على التعبير عن الحب ، و كانت واضحة الاستجابة لطفلها ، و وفرت له العديد من المناسبات التي تحقق له الاستئارة الاجتماعية و ذلك يساعد على تنمية التعلق الآمن لديه .

و الطفل ذو التعلق الآمن يكون أقل اضطراباً من غيره عند مواجهة الغريب و هو طفل متجاوب و متعاون ، مرتاحاً ودوداً و طليق في الحديث ، مرناً و ذو مهارات و موارد متسعة ، و يبدي تنوعاً في سلوكه الاجتماعي يسمح له بالاتصال بالآخرين بدون مشاكل.¹³

2.3- التعلق القلق (التعلق السلبي): وفيه يكون الطفل متعلقاً بأمه بشدة ، و يبدي مقاومة للشخص أو الموقف الذي يريد أن ينتزعه من حضن أمه ، وبذلك يفشل في استكشاف المحيط الذي يحيط به ، بل ويبدي غضب و انفعال عند عودة الأم له كأنه يعاقبها على ما فعلته معه من تركها له ، وهنا الأم لم تدعم الطفل نفسياً ، وستجعل انفصاله عنها صعباً. وفيه يكون الطفل غير متأكد من أن الأم سوف تكون متواجدة و متجاوبة و متعاونة عند الاحتياج (أي يتعرض لحرمان جزئي من الأم أو أن يكون اتجاه الأم غير ودود نحو طفلها)، حيث يشير بولبي "يُعتبر الطفل محروماً من الأمومة حتى لو كان يعيش مع أسرته إذا لم تكن لدى أمه القدرة على منحه رعاية الحب التي يحتاج إليها " .

يستأنف بولبي قائلاً: " ومن الطبيعي أن الحالات التي تندرج تحت هذه الفئة كثيرة جداً وعلى كل درجات الشدة ، ابتداء من الطفل الذي تتركه أمه يصرخ لعدة ساعات إلى الأطفال الذين ترفضهم أمهاتهم تماماً" . و بسبب هذا التشكك في تواجد وتجاوب الأم يكون الطفل عرضة لقلق الانفصال ، ميال للتشبث الزائد بالأم ، ويشعر بالقلق حيال استكشافه للعالم الخارجي. وهذا النمط ، والذي يظهر الاضطراب فيه بوضوح، ينشأ حين تكون الأم متواجدة و متعاونة في بعض الأحيان فقط وليس بصفة مستمرة ، كما ينشأ أيضاً من الانفصال أو التهديد بالترك كوسيلة للتحكم في الطفل . وهنا يشب الطفل وهو لديه مزيجاً من عدم الأمان والخوف والحزن مع الرغبة في الحميمة المتبادلة مع العدوانية غير الصريحة أحياناً. فجنده يسعى للحصول على الانتباه بطريقة مفرطة والفوز بحظوة والديه ربما عن طريق السلوك بلطف وجاذبية. كما يكون مندفعاً ومتوتراً وسريع الإصابة بالإحباط ، أو سلبياً عاجزاً ومستسلماً.

و في العموم تسهم الأم المغفلة انفعاليا و القليلة الحساسية لإشارات الطفل في تنمية التعلق القلق ، مما يخلق له الغموض و عدم الثقة في الكبار عامة ن و يظهر لخوف و الهلع عند رؤيته شخصا غريبا للمرة الأولى .

3.3 - التعلق القلق التجنبي : والذي فيه لا يكون لدى الطفل أي ثقة بأنه سوف يجد التجاوب والتعاون عند الاحتياج للرعاية ، بل الرفض والصد. وعند درجة معينة يحاول الطفل أن يكتفي بنفسه عاطفياً فيحتفظ بوالديه بعيداً عنه ، ويصير مختصراً ومقتضب الحوار الذي يصبح غير شخصي ، منشغلاً بأنشطته وألعابه الشخصية متجاهلاً أي مبادرات قد تنشأ من الوالدين. وقد يصير فيما بعد الشخص النرجسي أو من ينشأ بما يُسمى بالذات الزائفة. وهذا النمط ، والذي يكون الاضطراب فيه خافياً ، ينشأ من الرفض والصد المستمر للأم عند احتياج الطفل إليها ، والذي قد يؤدي عند الشدة إلى المرض أو الوفاة . وهنا يشب الطفل في عزلة عاطفية و نفسية ، عدوانياً أو مضاد للمجتمع ، وللمفارقة أيضاً جنده يسعى للحصول على الانتباه بطريقة مفرطة.

و يشير بولبي: " تختلف الآثار الضارة للحرمان الأمومي في درجتها فالحرمان الجزئي يصحبه القلق والحاجة الملحة إلى الحب والمشاعر القوية بالانتقام وبسبب هذه الأخيرة ينتج الشعور بالذنب والاكتماب. أما الحرمان التام فتأثيره أعمق وقد يعوق تماماً قدرة الطفل على إقامة علاقات مع غيره من الناس". يتضح بالتأكيد، أنه كلما كان الحرمان تاماً في السنين الأولى من الحياة، كلما أصبح الطفل منعزلاً ، غير مبال بالمجتمع ، بينما كلما تخلل حرمانه فترات من الإشباع كلما هاجم المجتمع وقاسى مما يختلج في نفسه من تضارب مشاعر الحب والكراهية لنفس الأشخاص.¹⁴

4-النظريات المفسرة للتعلق:

نظراً لأهمية التعلق كمظهر مؤثر وفعال من مظاهر النمو النفسي، لكونه مصدر حيوي من مصادر تكوين شخصية الفرد في المستقبل ، لذا أثار التعلق اهتمام العديد من نظريات علم النفس ، ومن بينها التيارات الرئيسية في علم النفس المعاصر ، وقد تباينت اتجاهاتها في تفسير نشأته ، وكذا تحديد جذوره كمظهر مهم من مظاهر النمو الانفعالي والاجتماعي للفرد. ولقد حدد هيزرنجتون وباركي الوجهات التفسيرية التالية:¹⁵

1.4- نظرية التحليل النفسي: حيث أرجعت هذه النظرية جذور التعلق الى الحاجات البيولوجية عند كل من الصغير وأمه. وذلك وفقاً للفرض الفرويدي الذي أكد على حاجة الرضيع الفطرية إلى الرضاعة. ولعل

هذا التفاعل الخارجي ، وتكيف الصغير لتجارب التغذية العملية ، وحاجته للإشباع الفمي عن طريق الرضاعة ، بالإضافة إلى النماذج الأخرى للاستثارة الفمية المصاحبة لعملية الرضاعة. كل هذا يؤدي إلى ظهور تعلق الصغير الذي يرتبط إشباعه بصدر أمه ، وهو الأمر الذي بات جوهرياً ليس بالنسبة لحياة الصغير وحده فحسب ، وإنما بالنسبة لحياة الأم نفسها كذلك .

2.4- نظريات التعلم: أنصار المدرسة السلوكية فسروا التعلق باستخدام مفهوم خفض الدافع الذي اقترحه "هل". فالأم تقوم بإشباع جوع الطفل (دافع أولي)، بعد ذلك يصبح وجود الأم (دافعاً ثانوياً) متعلماً ، لأن وجود الأم يقترن بشعور الطفل بالراحة والشبع. ونتيجة لذلك ، يتعلم الطفل تفضيل كل أشكال المثيرات التي تترافق مع الإطعام ، ومن ضمنها العناق اللطيف للأم والابتسامات الدافئة والكلمات الرقيقة. وقد رفض "سكنر" ، (صاحب نظرية التعلم الإجرائي) ، فكرة هل التي تشير إلى أن خفض الدافع هو المسؤول عن تعلق الطفل بأمه. فسلوك التعلق من وجهة نظره يزداد ويثبت من خلال ما يتبع هذا السلوك من معززات متنوعة كالطعام و الإطراء ، أو الحصول على ألعاب. فإذا تم تعزيز مجموعة كبيرة من سلوكيات الطفل ؛ فإن ذلك سيؤدي إلى تشكل رابطة تعلق قوية. أما عند استخدام العقاب أو التوبيخ أو سحب بعض الامتيازات ؛ فإن النتيجة ستكون خفض سلوك التعلق.¹⁶

3.4- النظرية الأخلاقية: وتعد نظرية بولبي (Bowlby) الايثولوجية وجهة نظر مقبولة في الوقت الحاضر. إذ أنها أكدت فكرة أنصار مدرسة التحليل النفسي ، من حيث أن نوع التعلق مع مقدم الرعاية له تضمينات عميقة ومهمة لشعور الطفل بالأمن وقدرته على تشكيل علاقة مفعمة بالثقة. وتمتاز نظرية "بولبي" عن النظريات الأخرى ، التي فسرت التعلق ، بتركيزها على الدور النشط الذي يؤديه الطفل حديث الولادة في نشوء هذه العلاقة.

ويؤكد بولبي (Bowlby) أن الطفل البشري يولد مزوداً ، مثله مثل صغار الأنواع الأخرى من الحيوانات ، بمجموعة من السلوكيات الفطرية التي تجعل مقدمي الرعاية بالقرب منه ، وبالتالي تزيد من فرص بقائه مثل سلوك الرضاعة والابتسام والإمساك بالأم والتحديق في وجهها وعيونها، ويعتقد أن هناك نظاماً سلوكياً تعلقياً يتضمن مجموعة من أنماط السلوك وردود الفعل الانفعالية ، تهدف إلى المحافظة على القرب من مقدم الرعاية الأولي. ويرى أن لهذا النظام ثلاث وظائف أساسية هي: تحقيق القرب من مقدم الرعاية ، وتوفير ملاذ آمن للطفل ، إذ يهرع الطفل إلى الأم في مواقف الخطر والتهديد بحثاً عن الدعم والشعور بالراحة ، واتخاذ الأم قاعدة آمنة ينطلق منها الطفل للقيام بنشاطات استكشافية في بيئته المحيطة. ويرى بولبي (Bowlby) أن الطفل عندما يتفاعل مع الآخرين يشكل ما يسمى بالنماذج العاملة الداخلية وأن هذه النماذج تعمل على استمرارية أنماط التعلق وتحولها إلى فروق فردية ثابتة. وتعد هذه النماذج أبرز المفاهيم في نظرية "بولبي" من حيث أنها الحلقة النماذجية التاريخية التي تفسر كيفية تأثير ظروف الماضي بظروف الحاضر والمستقبل.

وتُعرف بيرك (Berk) النماذج العاملة الداخلية بأنها مجموعة من التوقعات المشتقة من الخبرات المبكرة مع مقدم الرعاية ، تتضمن مدى وجود مقدم الرعاية ، واحتمالية تقديمه للدعم أوقات الضيق والتوتر ، بحيث تصبح هذه التوقعات موجّهات للعلاقات الحميمة مستقبلاً أو هي تمثيل عقلي لعلاقة التعلق التي تشكل أساساً للتوقعات في العلاقات الحميمة.

كما تُعرف النماذج العاملة بأنها خرائط معرفية أو تمثيلات أو مخططات (Schemes) أو خطط (Scripts) يمتلكها الفرد عن نفسه ككينونة مادية و نفسية ، و عنيئته المحيطة ، وأنها قد تكون على مستويات من التعقيد تتراوح بين التراكيب الأولية إلى التراكيب المعقدة.¹⁷

ويذهب "بولبي" (Bowlby) للقول بوجود جانبين لهذه النماذج: جانب يتعلق بالذات ، ويتضمن تقديراً لمدى جدارة الذات. وآخر يتعلق بالآخرين ، ويتضمن تقديراً لمدى استجابتهم ، والثقة بهم كشركاء اجتماعيين. فإذا كان مقدم الرعاية رافضاً للطفل وساخراً منه وغير حساس لحاجاته ، فإن الطفل سوف يطور نموذجاً عاملاً يُظهر فيه مقدم الرعاية على أنه شخص رافض وأن الطفل غير جدير بالمحبة. ومن جهة أخرى ، إذا مر الطفل بخبرة شعر من خلالها أن مقدم الرعاية شخص مُحِب حساس يمكن الوثوق به، فإنه عندئذٍ يطور نموذجاً عاملاً يُظهر به أن ذلك الشخص جدير بالمحبة والثقة.

ويرى "بولبي" أنه رغم بقاء النماذج العاملة الداخلية مفتوحة أمام الخبرات الجديدة عند تفاعل الطفل مع أشخاص جدد ، إلا أنها مع ذلك تميل نحو الاستقرار والثبات ، لأن الطفل سيختار شركاءه ويشكل علاقاته الجديدة بطريقة تتسجم مع النموذج العامل الموجود لديه مسبقاً. كما يرى أن النماذج العاملة ستقوم التغيير بمجرد تشكلها لأنها تعمل خارج إدراك الطفل و وعيه ، ولأن المعلومات الجديدة سيتم تمثيلها في النموذج الموجود سلفاً. فعندما يواجه الطفل خبرات و مواقف جديدة، سيخضع الطفل هذه الخبرات والمواقف للنموذج العامل الموجود لديه، متجاهلاً بذلك الأدلة الواضحة التي تدحض هذا النموذج .

وقد أكد "لايدون" (Lyddon) صحة هذه الفكرة في حديثه عن اضطرابات الشخصية وعلاقتها بنظرية التعلق وأنماطه. فقد أشار أن هناك مصدرين لاستمرارية أنماط التعلق عبر الزمن :

الأول: إن الاتجاهات والمشاعر الخاصة بالتعلق ، التي تستمر إلى مراحل نمائية متأخرة ليست نتيجة للنماذج العاملة الداخلية المتشكلة في مرحلة الطفولة فحسب ، بل إن هذه النماذج تدوم وتستمر عند مواجهتها لمواقف وخبرات تتسجم مع النماذج العاملة التي تشكلت مبكراً.

أما المصدر الثاني فهو الطريقة التي تصبح من خلالها بنية أو تركيب الشخصية مثبتة ذاتياً من خلال آليات التمثل ، مثل هذه الآليات تعمل على تقييد الخبرات من أجل أن يتم تمثيلها بناءً على اعتقادات جاهزة فهذه الآليات تطابق الخبرات مع التراكيب المعرفية الجاهزة والمتميزة بعدم مرونتها في التعامل مع معلومات جديدة .¹⁸

5- قلق الانفصال : بعد ان يتعلق الطفل بأمه او بالحاضن فإنه لا يرتاح لفراقها، بل يبدي احتجاجة على ذلك بصورة او بأخرى .فقد يشعر بالتعاسة و يأخذ في البكاء ،او يهتاج محاولاً التشبث بأمه او اللحاق بها ،او غير ذلك من انماط السلوك التي يقال انها تعكس قلق الانفصال.

و يتمثل قلق الانفصال في حالة عدم الارتياح والاضطراب والهم الذي يظهر نتيجة للخوف المستمر من فقدان الأشخاص المحبوبين والمرغوبين حيث يقال : " القلق عند الأطفال ليبس أصل شيء آخر غير عاطفة فقدان الشخص المحبوب ."

أما المراجعة الرابعة للدليل التشخيصي الإحصائي للأمراض العقلية DSM4 فقد عرفت قلق الانفصال على النحو التالي : " قلق الانفصال هو قلق شديد بسبب الانفصال عن الأفراد الذين يتعلق بهم الطفل أو بسبب الانفصال عن البيت " ، وهذا يعني أن قلق الانفصال حسب هذا الدليل -DSM4- هو

الخوف من الوحدة بأسلوب متزايد أو الخوف من الابتعاد عن الشخص الذي يتعلق به تعلقاً شديداً في البيت أو في مكان آخر .

و يمكن تعريفه كذلك على أنه القلق الذي يصاب به المرء لدى انفصاله عن شخص يعتقد بضرورة وجوده في حياته ، أو هو القلق الشديد المرتبط بحالة عدم الارتياح بسبب الانفصال عن الأفراد الضروريين في حياة الطفل .

و قد تظهر عدة أعراض يمكن تشخيصها من قلق الانفصال حيث أورد DSM IV المعايير التشخيصية للاضطراب قلق الانفصال على النحو التالي :

- * النمو الغير المناسب، وقلق متزايد متصل بالانفصال عن البيت أو عن من يتعلق بهم الطفل تعلقاً شديداً .
- * الألم المتكرر الشديد عند توقع الانفصال عن البيت أو من يتعلق بهم تعلقاً شديداً .
- * قلق دائم و متكرر لفقدان شخص عزيز أو توقع حدوث له ضرر أو كارثة .
- * قلق دائم و متزايد جراء حدث مكروه سيؤدي إلى الانفصال عن شخص عزيز .
- * الإصرار على الرفض و المقاومة و الكراهية للذهاب للمدرسة أو إلى أي مكان آخر بسبب الخوف من الانفصال عن الأم .

* الإحجام المستمر، أو رفض الذهاب إلى النوم دون أن يكون بجوار من يتعلق بهم تعلقاً شديداً ، و هذا ما يظهر في رفض النوم بعيداً عن البيت .

* الكوابيس المزعجة المتكررة و التي تأخذ طابع الصداع ، ألم في المعدة الغثيان ، القيء و هذا عند حدوث أو توقع الانفصال من الأشخاص الذين يتعلق بهم أو الذين تكون لديهم منزلة كبيرة في نفسية الطفل .

كما يصف بولبي (Bowlby) السلوكيات المصاحبة لحالة انفصال الطفل عن أمه كسلوك قلق ، وسلوك باحث ، وسلوك غاضب و متوتر ؛ والذي يتحول فيما بعد إلى لامبالاة وبأس .¹⁹ وكان يعتقد بولبي أن أساس الصحة النفسية هو أن يخبر الطفل علاقة حارة وحميمة دائمة مع أمه أو البديلة ، التي تكون بمثابة الأم في حنانها و رعايتها.²⁰

ويذهب بولبي إلى أبعد من ذلك ، فينظره قد تثار أكثر الاستجابات المرضية لدى الأطفال أو البالغين الذين لم يجربوا الانفصال أبداً ؛ ولكنهم تعرّضوا بشكل دائم أو متكرر للتهديد بالانفصال والهجر .²¹

والى جانب بولبي (Bowlby) فقد كانت تصورات نظرية حول قلق الانفصال من طرف أسماء لامعة أخرى . حيث يفترض أوتو رانك (Otto Rank) أن صدمة الميلاد، Birth trauma، وهي الصدمة النفسية التي يعانها الوليد حينما ينفصل عن رحم الأم ، الذي كان بمثابة الجنة بالنسبة له حيث كان ينعم فيه باللذة و الأمان ؛ وهو ما يفنقه حينما يولد وبالتالي برأي رانك (Rank) يشعره ذلك بالقلق لأول مرة ، كأول خبرة للحرمان ثم تليها صدمات أخرى خلال حياته ، كالفطام والتهديد بقطع القضيبي ، والذهاب إلى المدرسة ، وكل صدمة تولّد لديه الخوف من تكرار الانفصال طوال حياته ؛ ما يجعله معتمداً على الآخرين ومنتشباً بهم ؛ وهذا ما يعدّه رانك (Rank) الأساس الأعماق المسبب لمعظم السيكو باثولوجيا وسوء التوافق .²²

كما يشير فرويد إلى أن الأم هي الموضوع الذي يعوّض ضعف الطفل في سد حاجياته ، والتخفيف من ضغط الحاجة Need-Tension ؛ حيث يستشعر الطفل ارتفاع الضغط كخطر حقيقي يؤدي إلى استجابة قلق الانفصال ، يعبر عنها بالصراخ والبكاء . وتدرجياً يرتبط غياب الأم بذكري حالة الضغط ، لدرجة

يصبح فيها هذا الغياب حالة "خطر" بالنسبة للطفل ؛ وبحسب فرويد يتحول الخوف من فقدان موضوع الحب إلى خوف من فقدان حب الموضوع.²³

وفي النهاية فان قلق الانفصال بنظر فرويد هو مفتاح القلق العصابي ، وهو ناتج عن افتقاد الشخص المحبوب أي موضوع الارتباط بالنسبة للطفل .²⁴

أما بنظر ميلاني كلاين (M.Klein) فان أي قلق نابع من غريزة الموت Death Instinct لدى الفرد ، وفي مواجهة هذا القلق ينشطر الأنا الذي هو موجود بحسب كلاين منذ الميلاد ، فيسقط الجزء الذي يحتوي على غريزة الموت على الثدي ويواسطه الثدي (موضوع جزئي بالنسبة للطفل) ، يتعلق الطفل بالأم (الموضوع الكلي) باعتبارها من يمنحه الغذاء والدفء الإنساني ؛ وعلى الرغم من أن هذا الثدي ، رابطة بين الطفل وأمه إلا أنه في الوقت نفسه ، يهدّد الأنا ويستثير مشاعر اضطهادية ، تتحول إلى عدائية أو عدوانية لا شعورية ؛ تعبيرا عن غريزة الموت وخوفا من النبذ والاضطهاد من طرف الموضوع الأصلي: الأم.²⁵

وفي هذا السياق، فان الأطفال المرتبطين بالأم بقوة غير عادية، يمتلكون عدوانية لا شعورية قوية موجّهة نحوها ؛ مع أنهم قلقين من أن يلاقوا النبذ والاضطهاد من طرفها. وتشير كلاين (1994) إلى أن العدوان والقلق اللاشعوري كثيرا ما نلاحظه عندما نصادف تعلقا شديدا بين شخص وآخر .²⁶

ومن جهتها ترى كارين هورني (K. Horney) أن الطفل في علاقته مع والديه يمر بصراعات متعددة ، أصلها دافعين : أولهم ، شعور الطفل بالاعتماد الكلي له عليهما باعتبارهما مصدر الحماية ، والعطف ، والأمان . وثانيهما ، رغبة الطفل في التمرد عليهما والتحرر منهما ، نتيجة ما يصيبه منهما من مقاومات و احباطات . ومع ذلك فان الطفل يخاف حل هذا الصراع بالعدوان ، لخوفه من فقدان حبّهما و عطفهما ؛ فيكبت هذا العدوان ويستشعر بذلك قلق الانفصال عنهما. مما يجعل منه شخصا مسالما ، ميالا للانصياع طوال حياته اتجاه موضوع الارتباط ، ودائما خوفا من الحرمان من العطف و الحب .²⁷

أما ما هلر (Mahler) فتري أن الطفل يعيش خلال الفترة ما بين 15 شهرا إلى غاية السنة الثانية من عمره ، صراعا ما بين رغبتي متناقضتين ؛ من جهة رغبة الطفل في الحركة والاستكشاف ، ما يستلزم منه الابتعاد عن أمه، ومن جهة أخرى اهتمامه الشديد بأمه ما يدعو إلى بقائه بقربها. وبالتالي فان منع الطفل من العودة إلى أمه بعدما ابتعد عنها ؛ هو وراء قلق الانفصال الحاد ، الذي يشعر به الطفل. والذي يدوم إلى غاية سن الرشد أحيانا .²⁸

الهوامش:

¹: فايز قنطار، 1992، الأمومة - نمو العلاقة بين الطفل و الأم - ، سلسلة عالم المعرفة، عدد 166 ،

المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، الكويت، ص: 34.

² :MALHER, M. (1990). *Psychose infantile : symbiose humaine et individuation*. Paris : Payot, p. 19.

³ :MAHLER. Ibid, p. 41.

- ⁴: كلاين ميلاني، ترجمة الديدي عبد الغني، (1994)، التحليل النفسي للأطفال، (الطبعة الأولى)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ص: 46.
- ⁵: محمد عماد الدين اسماعيل، 1986، الأطفال مرآة المجتمع - النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، عالم المعرفة، الكويت، ص: 117.
- ⁶: أبو غزال معاوية، (2007)، نظريات التطور الإنساني وتطبيقاتها التربوية، ط 2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ص: 58.
- ⁷: محمد عماد الدين اسماعيل، 1986، المرجع نفسه، ص: 151.
- ⁸: عن موقع مرآة اضطرابات التعلق، نيويورك، على شبكة الإنترنت
<http://www.newyorkattachmentcenter.com/definition.html>
- ⁹: حداد ياسمين (2001)، أنماط التعلق وعلاقتها بالتفاعل الاجتماعي اليومي، والتكيف النفسي لطلبة جامعيين، دراسات العلوم التربوية، (2)، 479-456، ص: 467 .
- ¹⁰: نصار آرسنتين، (1993)، "أمي.. أنا بحاجة إليك لا تتركيني"، جروس برس، لبنان، ص 56 .
- ¹¹: نصار آرسنتين، (1993)، المرجع السابق، ص: 59 .
- ¹²: بدرية محمد العربي، (1994)، أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، ص: 83 .
- ¹³: حداد ياسمين (2001)، المرجع السابق، ص: 460 .
- ¹⁴: حداد ياسمين (2001)، المرجع السابق، ص: 463 .
- ¹⁵: Lafreniere, P. (2000). Emotional development: A biosocial perspective. London: Wadsworth, p:134.
- ¹⁶: أبو غزال، 2007، المرجع نفسه، ص: 59 .
- ¹⁷: Ainsworth, M. and Bowlby, J. (1991). An ethological approach to personality development. American Psychologist, 46, 333-341
- ¹⁸: Lyddon, W. (1993). Developmental constructivism: An integrative framework for psychotherapy practice. Journal of Cognitive ,p 67.
- ¹⁹: Bowlby, J., (1973): Attachment. (vol.I) and Loss (Vol. II). N.y. : Basic Books, p :26-27 .
- ²⁰: بولبي جون، ترجمة السيد محمد خيرى وآخرون، (1959)، رعاية الطفل وتطور الحب، المعارف للطباعة والنشر، مصر، ص: 07.
- ²¹: بولبي، جون ترجمة عبد الرحمن عبد الهادي، (1991)، سيكولوجية الانفصال، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، ص: 184-187.

²²: رورتر جوليان ترجمة هناء، عطية محمود،(1989)، علم النفس الإكلينيكي، (ط3)، دار الشروق، القاهرة، ص:146.

²³:Bowlby, J., (1973), Ibid, p :277.

²⁴: بوليبي، جون ترجمة عبد الرحمن عبد الهادي،(1991)، سيكولوجية الانفصال، الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة ، ص:29.

²⁵: زيغور علي،(1998). مدخل إلى التحليل النفسي والصحة العقلية.(ط1). لبنان: الشركة العالمية للكتاب، ص:27.

²⁶: كلاين ميلاني ، ترجمة الديدي، عبد الغني، المرجع السابق :137.

²⁷: فهمي مصطفى،(1971)، الإنسان وصحته النفسية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص : 324-332 .

²⁸: زيغور علي ، 1998، المرجع السابق، ص:78-79 .